الفصل الثالث

المشـاهدات فى سنى الدراسة

— ٢ —

الملاهى والتياترات

الملاهى . لم أفكر فى بداءة اقامتى فى باريس أن أجوب ملاهيها الليلية منفرداً وأنا غريب عن المدينة ضعيف فى لغة القوم ، حتى فتح لى هذا الباب زميل من سكان الفندق الذى نزلت به بادئ بدء . وكان تعرفنا على مائدة الطعام عقب وصولى الى باريس فلما علم أننى مصرى عرفنى بنفسه أنه وسيط تجارى (قومسيونجى) لأنواع النبيذ وأنه يلقى تسهيلا ومعاونة أينما ذهب خارج فرنسا ، فهو يود مساعدة من يتعرف إليهم ولا سيما الأجانب .

وأخبرته بدورى أننى جئت إلى باريس لأول مرة للدراسة . فعرض على أن يرافقنى لمشاهدة بعض الملاهى . واتفقنا على أن نبدأ فى نفس هذه الليلة وهو يوم ٢٢ يوليه سنة ١٨٨٥ بزيارة أحد هـذه الملاهى وأن نقضى فيه السهرة ، وصحبنا طالب بالطب يعرفه

مرقص بوليبه . وكان المكان المقصود يقع على الضفة اليسرى من نهر السين فى حى الطلبة بجوار المرصد ، واسمه « بوليبه » ووصفه لى صاحبى بأنه محل للرقص يضم طائفة من الفتيات اللائى يرقصن مع الزائرين . ولما لم أكن قد عرفت الرقص بعد رجوت صاحبى الا يترك ذراعى خشية أن تجذبنى إحدى أولئك الحسان للرقص معها . فضحك من كلامى وطمأننى

وعند ما وصلنا سمعنا ضجة عظيمة من داخله . وكان يهبط إليه ببضع درجات ، وهو عبارة عن بهو شاسع يسطع بالأنوار غاص بالزائرين من الجنسين وخصوصاً الطلبة ، تدوى فى أرجائه ضوضاء عالية هى مزيج من الضحك والصياح والصفير . وفى

ناحية من المكان حديقة نظمت حولها مخادع من الشجر لتكون خلوات لجلوس الزائرين مع الفتيات ، وتناول المشروبات على انفراد .

وفى أثناء تجوالنا لفت نظرى جمع غفير يحيطون بجماعة يرقصون رقصة الكادرى (المربعات) وعدد الراقصين فيها عادة أربعة أزواج نصفهم نساء والنصف الآخر رجال ، وكانت كل راقصة ترتدى ثياباً شفافة وترفع ساقها بمنتهى الرشاقة حتى تلمس بطرف حذائها قبعة الراقص معها ، وهو يقابلها بحركات رشيقة ويميل يميناً ويسار . وهذا ما يسمى بالشاهو ولا يرقص إلا فى محال اللهو لا بين العائلات . وكانت الفتيات تجذب الأنظار بما تشف عنه أثوابها الرقيقة . وبعض من يقومون بهذه الرقصة يتقاضون أجراً من صاحب المحل

وكان بين جماعة الراقصين رجل ذو لحية وخطها الشيب يلبس ردانجوت وقبعة عالية تلبس عادة فى الرسميات مما يلفت النظر ، فلما سألت عنه صاحبي زادنى الجواب دهشة إذ قال لى إنه أقدم الطلبة وأكبرهم سناً !!

وبعد أن رأينا هذه الرقصة صعدنا إلى مكان مرتفع لنتناول شيأ من المرطبات ، وكان صاحبي يتحدث مع بعض الفتيات ويخمش خدودهن مداعباً ، فسألته عما إذا كان يعرفهن فاجابنى : كلا ، ولكنه يسمح لنا أن نروح عن نفوسنا ويمكنك أن تحذو حذوى.

وفى منتصف الليل خرجنا اربعة بدلا من ثلاثة ، ذلك ان أحدى الفتيات أخذت ذراع صاحبي وزميله فحمدت الله على أنها لم تلتفت إلى . ولكن سرعان ما سألت عنى فما إن علمت أنى مصرى حتى تركتهما وتعلقت بذراعى . ويمكنك أن تتصور حالتى النفسية وما أصابنى عندئذ من الارتباك والخجل، ودار الحديث بيننا على النحو الآتى : ـ

هل حضرت باريس لأول مرة ؟ — نعم . — هل عندكم فى مصر محال مثل « بوليه » ؟ لا . — هل عندكم مسارح ومراقص ؟ — نعم — هل تعرف الرقص ؟ — لا

وهكذا كانت أجوبتى مقتضبة مرددة بين « نعم » و« لا » . لشدة حيائى من جهة ولعدم إجادتى لغتها من جهة أخرى .

ولما وصلنا إلى ميدان لوكسمبرج قالت لى : — هل انت ذاهب لفندقك ؟ قلت: نعم . فقالت — وهلا تحب أن تأتى عندى ؟ قلت : — لا

وتذكرت فى هذا الوقت ما كنت قد سمعته من بعض اخوانى بان الحرص على الصحة يقضى بالحذر من مخالطة أمثال هذه الفتاة .

ثم قالت بتعجب : هل أنت (بيسو) ؟ فأجبت — نعم . دون أن أفهم معنى لهذه الكلمة . ولكن الدور كان على كلمة « نعم » حسب نظام أجوبتى .

وما ان سمعت هذا الجواب حتى تركتنى وتناولت يدى رفيق‌ة وأخذ الثلاثة يرقصون حولى ويصيحون: « بيسو . بيسو » فخجلت جداً ودهشت ، وبعد ان أخذوا نصيبهم من الصياح والقفز سألت صاحبى عن معنى هذه الكلمة التى هاجتهم (بيسو) فاجاب معناها أنك لم تدخل دنيا وهى تريد أن تدخلك فى دنياها . قلت : — وهل يليق عملكم هذا امام الناس وفى وسط الميدان ؟ قال : — لا بأس من ذلك فنحن فى حى الطلبة ، ويحق لنا أن نأخذ قسطنا من اللهو دون إخلال بالنظام .

وأخيراً دخلنا محلا للجعة بعد منتصف الليل . فلما يئست الفتاة من الارتباط بأخذنا تركتنا بعذر ما . ورجعنا إلى فندقنا وذهب طالب الطب إلى مسكنه . وكانت تلك أول حادثة لى فى باريس .

القط الاسود . وفى الليلة التالية ذهبت مع صاحبى إلى محل آخر غريب فى بابه اسمه « القط الاسود » فقابلونا عند الدخول بنكات يوجهونها للزائرين رجالا ونساء يخصون كل واحد بنكتة تتناسب مع مظهره . وهذا ما ذكرنى بالمداحين فى مصر الذين يطوفون الشوارع ويقابلون المارة بكلمات المدح ان كانوا يجودون عليهم بالحسنة أو بتهكم ان أعرضوا عنهم . وهناك وجدنا كثيراً من الناس وأخبرنى صاحبى ان بين هؤلاء ادباء مشهورين . وفى هذا المكان بعض الملاهى شاهدناها ثم انصرفنا .

الفولى برجير . وفى ٢٠ اغسطس سنة ١٨٨٥ زرت الفولى برجير وهو مسرح فى حى مونمارتر تمثل فيه بعض الروايات الهزلية والألعاب المختلفة وتؤمه انصاف الحرائر . ومن الألعاب التى شاهدتها وأدهشتنى بغرابتها نوع من الدرافيل ، وهو من فصيلة السمك المستأنس ، ذو رأس كبير ويعيش عادة فى البحر ولكنه يستطيع الخروج منه . وكان موضع دهشتى أن المدرب جعل هذه الاسماك تلعب العاباً خاصة ؛ فأتى بطوق ملىء فراغه بالورق فكانت تقفز وتخترقه ثم تلعب بالكرة برؤوسها وتتقاذفها فيما بينها ، وكذلك جعلها تعزف على بعض الآلات الموسيقية الوترية . ثم تطلق طبنجه اعدها المدرب وغير ذلك من الالعاب الغريبة .

وفى يوم ٤ مارس سنة ١٨٨٧ عدت لزيارته ومعى ابراهيم بك ذو الفقار فوجدناه مزدحماً ، وقد شاهدنا فيه ألعاباً عجيبة من ذلك ثلاثة رجال يلعبون فى الهواء على العقلة

وقد صفق لهم الجمهور لمهارتهم الخارقة للعادة . ورأينا كذلك أربع ببغاوات مدربة لضرب الموسيقى بأرجلها ، وتطلق مدفعاً صغيراً ، وتدحرج كرة موضوعة على خشبة ضيقة ومستطيلة بأرجلها دون أن تقف . وبعد ذلك يأمرها مدربها فتجر عربة صغيرة تركب فيها إحداها ويجرها آخر كالحصان والثالث يقودها كالحوذى ، وكل هاته الألعاب تعرضها فوق طولة . أما مدربها فكان يخاطبها بالانجليزية

الايبدروم . في يوم ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٥ ذهبت الى الأيبدروم فشاهدت فيه ألعاباً رياضية تدل على مهارة فائقة فى الجباز والعقلة . وكان به خيول وكلاب وفيلة مدربة ، ومنها ما يضرب على الدفوف ضربات منتظمة ويزمر ويرقص ويقعد للطعام ويدفع الدراهم بعد الأكل . وفيل يركب دراجة ذات ثلاث عجلات وغير ذلك

وفى أثناء اللعب خرجت ثلاث عربات مسرعة للسباق كل واحدة يجرها زوج من الخيل، تقودهما امرأة ، فتسابقوا وفى الأثناء قلبت عربتان ووقعت إحداهما فوق إحدى المرأتين فغشى عليها ولكن لم يصبها ضرر مّا

وفى يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٦ ذهبت ومعى ابراهيم بك إليه مرة أخرى فوجدناه مزدحماً بآلاف المتفرجين ، لأن هذا اليوم هو اليوم الوحيد فى السنة الذى يحضر فيه نحو ألف وخمسمائة لاعب رياضى يتسابقون . وقد أرسلت كل بلدة فرقة عنها بملابسها الخصوصية ، فابتدأ اللعب فى الساعة الثانية والنصف مساء ولم ينته إلا فى الخامسة وبعد ذلك قام وزير الحربية ، وهو رئيس شرف جمعية الرياضيين ، فألقى خطاباً صفق له الحاضرون ، أثنى فيه على همتهم وعنايتهم بهذا الفن الذى هو العلاج الطبيعى للأجسام ، والبذرة الأولى لاعداد جيوشهم . ولما انتهى من خطبته سلم نيشان الليجون دونور من الدرجة الخامسة الى رئيس الجمعية ونيشان الأكاديمى على أحد الأعضاء ، ثم وزعت المكافآت على المستحقين

مولد بجهة المرصد . فى يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥ ذهبت الى مكان أشبه بمولد فى جهة المرصد حيث شاهدت أنواعاً من اللهو وهناك ركبت على الخيول الخشبية وكان بجانبى شيخ وفى عروة سترته علامة نيشان الليجون دونور مصحوباً بعائلته ، فقلت فى نفسى لو فعلتُ فى مصر كما أفعل هنا لضحك علىّ الجميع لأن مثل هذا اللهو البرىء مما يؤاخذ عليه فى وطنى من يفعله

السرك الجديد . فى يوم ٣١ مارس سنة ١٨٨٦ شاهدت السرك الجديد ، وهو مكان تعرض فيه من نساء ورجال ألعاب بهلوانية وأخرى على الخيول وعلى الحبل بمهارة كبيرة

وهو عبارة عن ساحة مستديرة تعرض الألعاب فى وسطها وحواليها المقاعد وأرض الساحة من الخشب ، وقد فرشت فوقها الأبسطة وعليها جزء من الرمل . وتبدأ بألعاب الخيل والألعاب البهلوانية . ثم ترفع الأبسطة بما فيها ويضغط على زر فيهبط الجزء الخشبي وفى مكانه تتدفق المياه من أنابيب دائرية حتى يمتلىء ويكون شبه بركة وعندئذ تبدأ الألعاب المائية من الجنسين

وعدت لزيارة هـذا السرك فى يوم ٢ مارس سنة ١٨٨٧ وكان معى ابراهيم بك وشاهدنا كثيراً من ألعاب على الخيل والعقلة وأعجب ما شاهدناه حماراً يحضر كل ما طلبه اللاعب ويجرى عند ما يأمره بالجرى ويتمرغ مع صاحبه ويتبادلان القبلات ، إلى غير ذلك من الألعاب الخارقة للعادة

خيال الظل . فى يوم ٢٦ يونيه سنة ١٨٨٦ ذهبت مع سيدة إلى كونسير فى الشانزليزيه حيث سمعنا الغناء وتفرجنا على خيال الظل . وكان رجل يصنع بيديه هيئة كلب وماعز وأرنب ووعل وأشياء عجيبه جداً

سرك الصيف . وفى الساعة الرابعة من يوم أول أغسطس سنة ١٨٨٦ توجهنا إلى سرك الصيف فى الشانزليزيه وتفرجنا على ألعاب هناك تفوق التصور يقوم بها انكليز وغيرهم

نادى الشطرنج . كان مسيو مزمر مدير البعثة المصرية سابقاً من هواة الشطرنج ، وكان عضواً فى ناديه الموجود بالقرب من شارع الاوبرا ، فأرسل لى وابراهيم بك لشهود حفلة مهمة فى هـذا النادى تقام يوم ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٧ . فذهبنا اليه فرأيناه غاصا باللاعبين والمتفرجين ، وكان بين اللاعبين فتحى زغلول (باشا) الطالب المصرى . ولما حل موعد اللعب أخذ اللاعبون مكانهم على صف واحد ، وكانو ثمانية أمام كل لاعب رقعة الشطرنج برقم معين ، وكانوا جميعاً ضد لاعب مشهور إسمه « روزنتال » وهو يهودى ، وقد ولى وجهه شطر زاوية ، وابتدأ اللعب دون أن يشترك هو فيه بل كان موكلا عنه اثنين ينقلان قطع الشطرنج بناء على أمره ، وجعل كل لاعب يسير قطعة ويرد على اليهودى بلعبة على هذا النحو ، والمراقبان يلاحظان نقل القطع ، والموظفون فى النادى يسجلون كل لعبة . وبعد أن استمر اللعب ساعة وربع ساعة ترك الجميع اللعب وذهبنا إلى المقصف فتناولنا فيه ما أردنا . ثم دق الجرس فرجعنا إلى الملعب فقال روزنتال :— لنراجع الألعاب الماضية ونتذكرها ؛ ثم أخذ يسرد ألعاب كل لاعب برقمه وما لعبه هو ضده بالترتيب ، ثم سألهم عما إذا كان ما سرده صحيحاً فقال الجميع :

نعم . وأخذ اللاعبون فى اللعب وهو يجيبهم وبعدها قال للاعب رقم ٦ : « شاهك ميت فى لعبتين » وقد حصل . وكان يتذر بقية اللاعبين قبل نقل حجارتهم بأن الشاه سيموت بعد لعبة أو اثنتين حتى لم يبق من الثمانية غير اثنين أصبحا متساويين (باطة) أحدهما صاحبنا فتحى زغلول . فخرجنا فى دهشة من ذكاء هذا اللاعب وحمدنا الله على أن مواطننا لم يغلب . وقد ذكر لنا مسيومزمر أن أبطال العالم فى هذه اللعبة كلهم من اليهود

ركوب الخيل . خطر لى أن أتعلم ركوب الخيل فاشتركت فى عشرين درساً بمحل تعليم الركوب . وفى يوم ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٨٧ ذهبت لأول درس ، فأعطيت حصاناً بليدا فركبته ، وكان أمامى من المتعلمين نحو خمسة عشر ، لأنى كنت آخر تلميذ التحق بهذا المحل . وأمرنا المعلم أولا ان نمشى خطوة خطوة بشكل دائرة ، ثم أمر الأول أن يخرج من الخط وينفصل عن الباقين ويسبقهم فى الدائرة حتى يلحق أخر تلميذ ويسير خلفه ، ثم يتقدم الثانى فيفعل مثله ، وهكذا فلما جئت فى المقدمة، عاكسنى الجواد لبلادته فأمرنى المعلم بضربه ففعلت وبذلك أديت مهمتى .

وفى الشوط التالى أمر المعلم بالسير خبباً وحدث ماحدث فى الدور الأول ، ومثّل الجواد معى دوره السابق . وأخيراً أمرنا المعلم بالسير عدواً بالنظام السابق والحمد لله لم يحصل لى شىء

أما الدرس الثانى ، فلم يمر بهذه السهولة إذ حدث فى أثناء الخبب أن وقف الجواد الجديد الذى سلم لى ، فلما جربت معه ما جربته مع صاحبه من قبل من الضرب لم تفلح التجربة ، وعندئذ قال لى المعلم : اضربه بشدة ، فنفذت الأمر ولكنى ما كدت أفعل حتى شعرت بنفسى ملقى على الأرض ، فبادر المعلم لأنهاضى . ولم تكن الأرض صلبة فلم أصب بسوء بل واصلت الدرس حتى نهايته . وهكذا واظبت على تلك الدروس حتى انتهى الاشتراك وصرت أجيد ركوب الخيل نوعاً ما .

مونتانى روس . وفى يوم ١١ مايو سنة ١٨٨٨ ذهبت ومعى ابراهيم بك وصديق فرنسى إلى مكان بالقرب من (الجراند اوتيل) يسمى « مونتانى روس » (جبال الروسيا)

وفى هذا المحل رُبىً تشبه الجبل بين منخفضة ومرتفعة ، وترتقى قمته بواسطة سلم من الخشب، وهناك يركب المتفرج فى عربة بها جملة صفوف من المقاعد كل مقعد منها يسع اثنين ، ثم تندفع على شريط إلى أسفل حتى إذا وصلت إلى المنخفضات أحس الراكب

كأن قلبه قد هوى . وهناك ترتفع الأصوات وخصوصاً من السيدات فتسمع صياحهن عالياً ، وفريق منهن يفعل ذلك من تأثير السقوط وفريق آخر للفت أنظار الرجال .

دخلنا هذا المحل لتمضية السهرة فوجدناه غاصاً بالزائرين والزائرات ، ووجدنا كل المقاعد الأمامية محتلة ، فأردنا الانتظار برهة حتى يخلو بعضها فنجلس لنتمتع برؤية الفتيات يسرن فى الطريق الممتد أمام المناضد . ثم تخلفت برهة عن زميلي وتركتهما يراقبان خلو منضدة ، وقصدت إلى مكان لعب فليشت (إطلاق السهام) وهو عبارة عن دائرة من القش داخلها مقسم إلى حلقات ملونة فيأخذ اللاعب سهاماً (مراشة) كل سهم له طرف مدبب وآخر ريش لتصويبها على الدائرة فلعبت فأصاب احدها الهدف . وبذلك نلت جائزة وكانت ديكا صغيراً لطيفاً رشقته فى عروة السترة .

وعند ما رجعت إلى صاحبيّ تصادف خلو منضدة أمامية ، فأسرعت اليها وطلبت منهما اللحاق بى ولكنهما أبطآ . وبينما كنت ألتفت لها أحثهما على الاسراع إذا برجل كهل يرتدى « ردنجوت » فى عروتها وسام الشرف سبقنى إلى هذه المنضدة وجلس أمامها ، فجلست أنا أيضاً بجانبه فجذب المنضدة اليه فقربت مقعدى منها فالتفت الى قائلا :— هذه المنضدة جلست أنا عليها قبلك فقلت له :— ولكنى لمحتها قبل أن تلمحها ولولا بطء زميليّ لكنا أصحابها . واشتد الجدال بيننا على حين كان صحباى يضحكان ولا يلبيان دعوتى للحضور والجلوس معى . ولما ضاق صدر الرجل نادى الخادم وطلب منه أن يحضر صاحب المحل . ولكن الخدم هناك يناصرون الشيبة ويحترمون الشباب ، فكان طبيعياً ألا يجيب الطلب . وفى النهاية ترك خصمى المنضدة فحضر الزميلان . وبعد ان جلسنا سألتهما عن سر ضحكهما . فكان الجواب :— أين الديك ؟ فالتفت إلى العروة فلم أجده وفهمت أنه سقط عند اشتداد الجدل بيننا . وأما صاحبنا فقد رأيناه بعد ذلك على منضدة خلفية مع احد الفتيات .

وقد عدت مع أصدقائى لزيارة هذا المحل مراراً .

سباق الجائزة الكبرى ، فى يوم ١٦ يونيه سنة ١٨٨٩ توجهت لمشاهدة سباق الجائزة الكبرى فى « لونجشام » بغابة بولونى ، وهو سباق خيل كبير يقصده الكثيرون من جميع أنحاء أوروبا لشهرته وأهميته ، ويعتبر هذا اليوم كعيد عظيم . وكان الزحام شديداً جداً ومن أهم مظاهره أن السيدات تفدن إليه لابسات أحدث الأزياء ، وخصوصاً الغانيات فانهن يتبارين فى ذلك مباراة باهرة ، فيكون هنالك معرض فخم لأحدث الأزياء وأفخمها

وقد فاز فى هـذا السباق حصان فرنسى اسمه « فازستاس » لم يكن يتوقع أحـد فوزه وراهنت على غيره بعشرة فرنكات لخسرتها

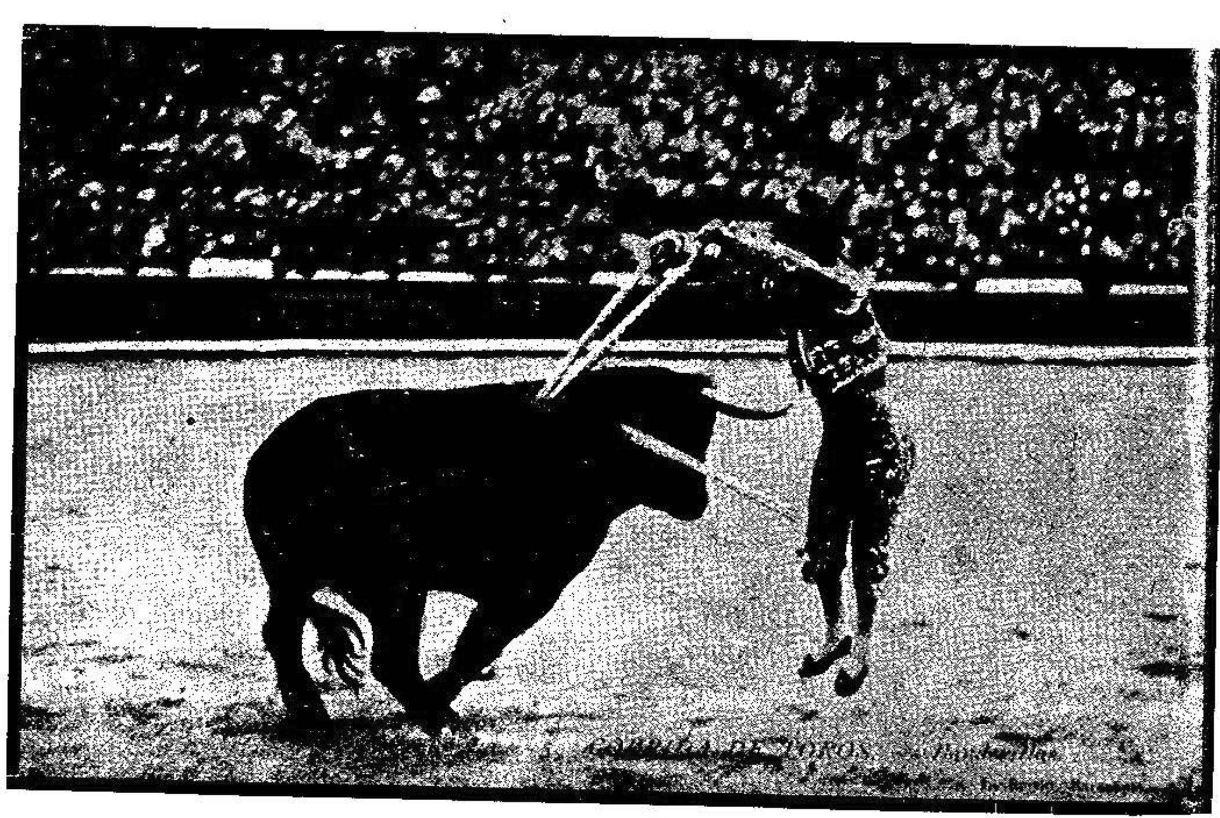
بوفالو بيل . فى يوم ٧ أغسطس سنة ١٨٨٩ توجهت لمشاهدة هذا الملعب ، وهو عبارة عن سرك عظيم يظهر فيه هنود أمريكا أى سكانها الأصليون بملابسهم وحرابهم وكيفية قتالهم الأمريكانيين ، الذين تغلبوا عليهم وأخذوا أراضيهم وطردوهم منها . ووجوه هؤلاء الهنود صفراء أو حمراء وملابسهم عبارة عن بنطلون ضيق مرقع بجملة قطع ملونة ، ورؤساء القبائل لهم أجنحة ملونة أيضاً وعلى رؤوسهم ريش طويل ، وهم مهرة فى ركوب الخيل حتى أنهم أتوا بخيول متوحشة من الغابات يصعب ركوبها إلا بعد تدريبها بواسطة هؤلاء الرجال ، وقد رأيتهم بعد أن يطلقوا هذه الخيول يعدون خلفها ويتمكنون من ركوبها ويجرون عليها جمله ألعاب تدل على فروسيتهم واقتدارهم وقد قاموا بعرض كيفية اقتناصهم هذه الخيول من الغابات .

سيرك الشتاء . فى يوم ١٦ أغسطس سنة ١٨٨٩ مساء توجهت مع ابراهيم بك إلى هـذا السيرك ، وتفرجنا على سهرة اسبانيولية عبـارة عن كونسير « أغانى وموسيقى » ورقص اسبانيولى . ومن العجيب أننا رأينا من ضمن الأشياء فرقة عازفة مؤلفة من ٣٠ غلاما عمر الأكبر منهم ثمانى سنوات ووقعوا أدوارا بغاية الاتقان

مصارعة الثيران . فى يوم ١٨ أغسطس سنة ١٨٨٩ توجهت ومعى صابر بك صبرى وكيل مدرسـة المهندسخانة — وكان قد حضر لباريس — إلى محل مصارعة الثيران بالقرب من غابة بولونى ، وقد أنشىء بمناسبة المعرض العـام ، فرأينا استعراضاً عاماً للموجودين فى هذا المحل ، وهم من الاسبانيين الماهرين فى مصارعة الثيران ، فدخل أحدهم ممتطياً حصاناً عليه من كل جهة نقرزان واثنان يمسكان بعنانه يتبعه أربعة خيـالة اسمهم « تيكادور » ثم هيئة عساكر اسبانيا القديمة ، وبعدها عربة تشريفة مزخرفة جداً يجرها أربعة خيول ووراءها مصارعو الثيران «توريادور» وأخيراً الخدم . وبعد اتمام الموكب دورته أمام الجمهور انصرف الى الداخل ثم نزل الميدان فارس « بيكادور » يتبعه بعض « التوريادور » بملابسهم الملونة وفتح باب اصطبل خرج منه ثور هائج فعاكسه الفارس ، فلما أراد الثور أن يهجم على الحصان رشقه الخيال بنبلة فى قفاه فهاج الثور واشتد هياجه وأراد أن يفترس بعدوه ولكن الخيال ماهر فرشق الثور نبلة ثانية وثالثة ورابعة ، وكان « التوريادور » يهيجون الثور ويدفعونه نحو الفارس وبعدئذ انسحب الفارس من الميدان وابتدأ احد مصارعى الثيران « التوريادور » فى أن يزيد هياج الثور بملابسه التى تشبه برنس الحمام الملونة بألوان أظهرها الأحمر فأتى بنبلتين ورشقهما فى قفا الثور دون أن يصيبه ضرر منه

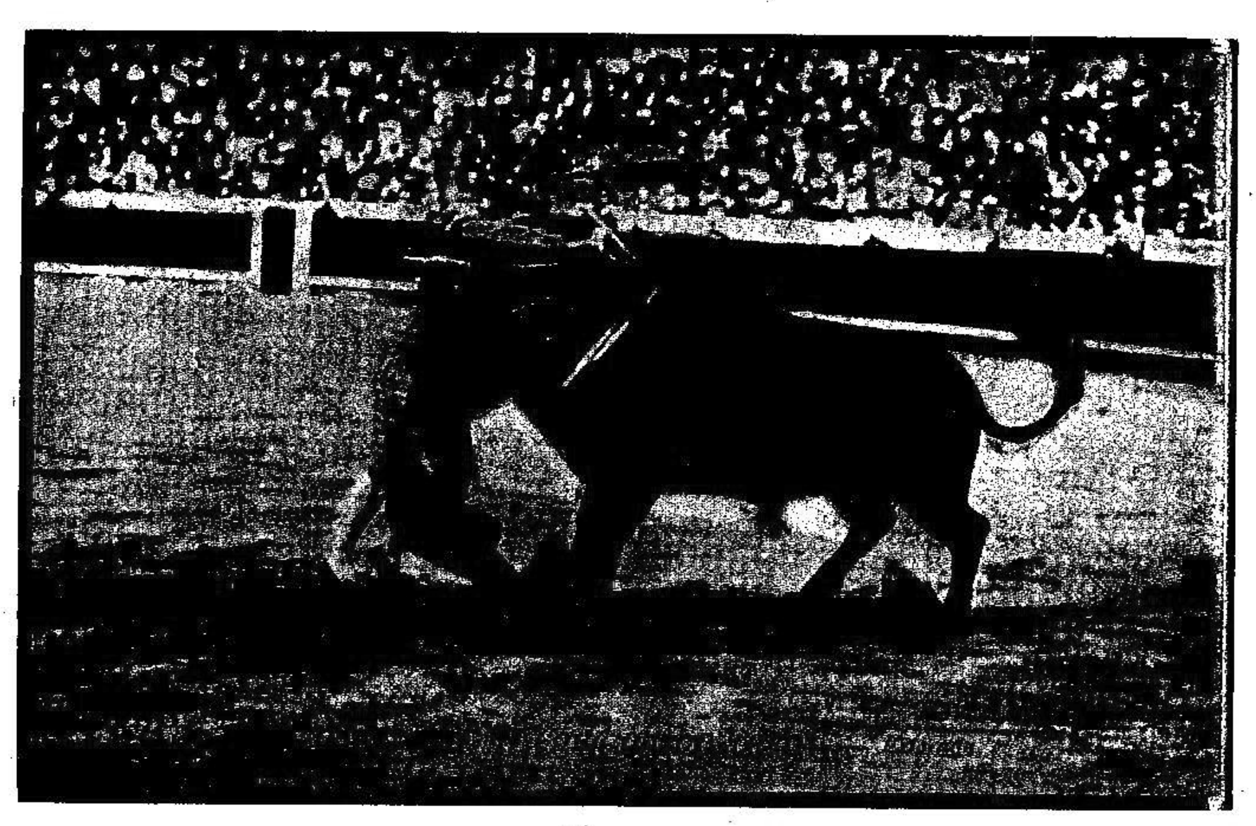


البيكادور



التوريادور

ولما تعب الثور من شدة ألم النبال جاءه التوريادور الخصيص بالاجهاز عليه وفى احدى يديه شيش سميك وفى الأخرى قطعة قماش حمراء فوصل هياج الثور الى أقصى حد واستمر هذا فى معاكسته حتى هجم عليه الثور للافتراس به . ولكن التوريادور تملكه بفراسة ومهارة وضربه بالشيش ضربة هى القاضية فخر صريعاً فأجهز عليه . وقد منعت الحكومة ذبح الثيران أمام الجمهور ولهذا فانهم عقب وقوع الثور يجرونه للداخل بواسطة الخيل ويذبحونه بعيداً عن الأنظار



التوريادور الْمُجْهِز

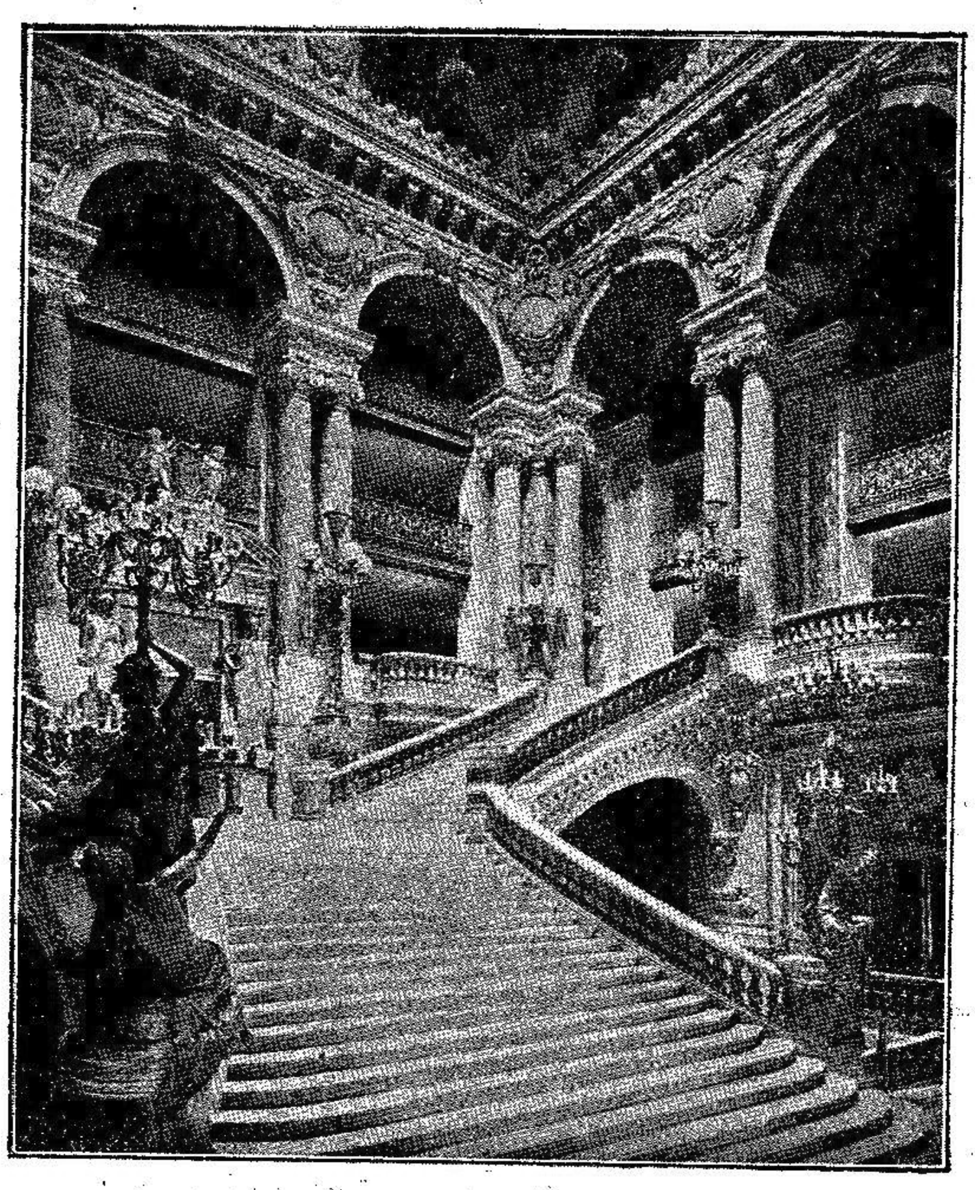
التياترات . من التياترات ما خصصت له الحكومة إعانة مالية سنوية ، وهى الأوبرا والأوبرا كوميك والكوميدى فرانسيز والأديون ، ثم ان الاثنين الأولين تمثل فيهما الروايات الغزلية التى تنتهى فى الغالب بمأساة ، والأخيران يمثل بهما الروايات الشعبية (كلاسيك)

الاوبرا . فى يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٥ مساء توجهت ومعى طوبيا بك ، الذى كان قد حضر معى من مصر ، الى الأوبرا لمشاهدة رواية سيجور

وفى يوم ٢٦ سبتمبر توجهت لمشاهدة رواية (الأفريقية)

ولـكننى فى كلا الروايتين لم أتذوق الموسيقى لعدم تعود أذانى سماعها ولا الغناء نظراً لأدغام الممثلين والممثلات له حتى ليصعب فهمه على نفس الفرنسيين الذين لم يسبق لهم قراءة الرواية . أما المناظر ، أما نشيد الممثلين والممثلات فى جماعة واحـدة مع توقيع الموسيقى ، أماجوقات الراقصات ومايقمن بالرقص على أشكال مختلفة منظمة وخصوصا الراقصة الأولى وما تبديه من الرشاقة والخفة ورقصها على أطراف الأصابع ، فهى من أبدع ما شاهدته فى الأوبرا

أما داخل الأوبرا فقد أعجبنى جداً السلم الداخلى فانه فخم لامثيل له فى مسرح آخر وهو موصل الى الطابق العلوى الذى به صالات جميلة جداً ونقوشها بديعة ومعدة لاستراحة المتفرجين بين الفصول



سلم الأوبرا الـكبير

وفى يوم ٦ مارس سنة ١٨٨٧ أقيمت فى الأوبرا حفلة رقص مقنع أى أن الرؤوس محجوبة بوضع وجوه مستعارة من الكرتون عليها حتى لا يعرف لابسوها من نساء جميع الطبقات . فقصدتها لابساً الطربوش والسترة الاسلامبولية ولهذا وجه الى بعض الحضور شيئاً من النكات على سبيل المزاح ، فمن قائل انى أغا وآخرون أنى سفير ومنهم من قال انى السلطان وهكذا . وقد أراد الحاجب أن يمنعنى من الدخول الى ساحة المرقص لأنى لم أخلع طربوشى كعادتهم فى خلع القبعات عند الدخول ولأنى لم أكن لابساً « فراك » وهو اللباس الرسمى . فأفهمته أن خلع الطربوش لايليق فى عاداتنا وأن الذى أرتديه هو الزى الرسمى عند المصريين وكان قد التف حولنا جمع كبير فبعد هذه البيانات صاحوا قائلين الحق ما قاله . وعندها سمح لى بالدخول

وبالرغم من اختلاف الأزياء لم يعجبنى منها شىء مطلقا . وكان على السلم الكبير الداخلى موسيقى كما كان فى المرقص نفسه جوقة موسيقية أخرى تديرها احدى الممثلات الشهيرات . وقد لقيت هذه الليلة تونسياً فى المرقص ولباسه السروال والسلطة وطربوش لف عليه شالا غبانياً كعادة التونسيين

وفى مساء ١٢ يوليه سنة ١٨٨٩ صحبت تونينو بك التشريفاتى الأول ، الى الأوبرا وكانت تمثل فيها رواية عايدة ، فأبدع الممثلون والممثلات والموسيقى و الأغانى كانت كذلك منتظمة جداً وكنت قد تعودتها ، أما الرقص فكان فى غاية الرشاقة وكان جلوسنا بجانب فرنسى عليه سيما الوقار وبيده نوتة الموسيقى ليتتبع توقيعها على الموسيقى طول مدة التمثيل ولم يهتم لا بالمناظر ولا بالرقص ، وكانت له لحية (سكسوكة) على طراز لحية نابليون ، فاستغرب تونينوبك أحواله وكان بجواره فقال لى بالعربية : — هلا شاهدت عدم اهتمام من بجانبى الذى لحيته كلحية التيس بالتمثيل ؟ فما كاد ينتهى من كلامه إلا وقد التفت إليه الرجل وخلع عن عينيه منظاره وقال له بالعربية : — هل أنت مصرى ؟ فخجل تونينو ولم يكن يتوقع معرفته للعربية ولكنه بعد الاعتذار علم أنه ضابط عظيم أمضى أعواماً عديدة فى تونس

الاوديون . شاهدت فيه فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٨٨٥ رواية لويس الحادى عشر وهى تصوره كملك ماكر لا يؤمن جانبه ولا يأمن هو جانب أحد . ومن مواقف الرواية أن يغمى عليه مرة ويظن ابنه أنه مات فينتزع تاجه ويضعه على رأسه وبينما هو يفعل ذلك يفيق والده فينتزع تاجه مرة أخرى ويرده إلى موضعه

وفى يوم ٢ نوفبر سنة ١٨٨٧ شاهدت فيه رواية « لآرلزيين » وهى رواية تراجيدى نثرية شعرية من تأليف الفونس دوديه وتتلخص فى حكاية شاب ريفى أراد والداه أن يزوجاه من ريفية من بلدته القريبة من مدينة آرل ، ولـكنه كان قد تعرف بفتاة من هذه المدينة وعشقها وصمم على أن يترك التى خطبها له والداه وأخيراً أخبره أحد أصدقائه أن حبيبته التى من آرل كانت معشوقته فيما مضى فاختل عقله وعالجه والداه وتم الاتفاق على أن يزوجاه ممن قد خطباها له فقبل ، ولـكن فى ليـلة زفافه ألقى بنفسه من نافذة منزله . فمات منتحراً

وفى هذه الليلة تفهمت روح الموسيقى الافرنجية واستشعرت لذتها ؛ فقد كانت النغمات التى ترسلها الجوقة الموسيقية من آلاتها تساير المناجاة الغرامية بين العاشق والمعشوق ؛ خفوت ورقة فى موقف التذلل والاستعطاف ، وصخب عند النفور والغضب ، وهكذا مما كان يهز المشاعر ويأخذ بالألباب

ومن ذلك الحين وأنا أهتم بالموسيقى الافرنجية وأعنى بتتبع نغماتها

الشاتليه . مسرح متسع جدا يسع كثيرا من الممثلين شاهدت فيه فى يوم ٣ أكتوبر سنة ١٨٨٥ رواية (كوكو فيليه) . وهى قصة رجل مجازف يقتحم المخاطر ويتغلب عليها ويصل الى غايته . وهى قطعة ذات ٣٢ منظرا بديعة للغاية ويرى منها البحر والمركب البحرية بالنوتية والمدافع وغير ذلك من المناظر البهجة الجميلة وسرعة تغيير المناظر يحصل فى أقل من لمح البصر

وتفرجت فى يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٧ وكان معى ابراهيم بك ذو الفقـار على رواية « ميشيل أو سترجوف » وهى قصة تاريخية وقعت حوادثها فى الروسيـا ما بين الروس والتتر ، وكان ميشيل زعيم روسى عظيم انتدبه الشعب لمهمة سرية فقبض عليه القيصر ولما لم يبح له بسر هذه المهمة حكم عليه بأن تفقأ عيناه بواسطة مسامير من الحديد المحمى جداً

كما حضرت أيضاً فى يوم ١٧ يونيه سنة ١٨٨٩ « سيـاحة حول الأرض فى ٨٠ يوما » عن جول فرن تظهر فيها مناظر فى غاية الابداع ووسائل النقل تظهر كحقيقتها فى الماء واليابسة على المسرح . وقد اتم السائح هذه الدورة فى الميعاد المحدد ونال الرهان

وفى يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٩ توجهت إلى هذا التياترو صحبة البرنسين عبـاس ومحمد على وشاهدنا رواية « برنس الشمس » وكانت بديعة ومناظرها صينية محضة

كوميدى فرانسيز . فى يوم ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨٥ توجهت اليه لمشاهدة رواية (تارتوف) تأليف فولتير وهى التى ترجمها محمد بك عثمان جلال إلى اللغة العربية والمعروفة عندنا برواية « الشيخ متلوف » ويمتاز الممثلون فى هذا التياترو بأنهم يعطون الكلمات حقها فى النطق حتى يتفهمها الحضور

وكذلك حضرت روايات أخرى فيه

لاجيتيه . وفيه تمثل الروايات ذات المناظر البهجة وحضرت فيه فى يوم ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٥ رواية « عقلة الصباع » وهى عبارة عن عائلة فقيرة جداً مؤلفة من رجل حطاب وزوجه ولهما سبعة اطفال من ضمنهم ولد ضئيل الجسم جداً اطلقوا عليه اسم « عقلة الصباع » وفى ذات ليلة بعد ان نام الأولاد اتفق الرجل وزوجه على أنهم يأخذونهم فى الصباح إلى الغابة ويضللونهم فيها تخلصاً من نفقاتهم ! ولكن « عقلة الصباع » الذى كان منصتاً لحديثهم انسل بعد نوم والديه إلى الخارج وجمع كثيراً من الزلط الأبيض الصغير ورجع لمحل نومه ففى الصباح استيقظت الأولاد وتبعوا الوالدين وكان عقلة الصباع فى أثناء المسير يسقط زلطاً مما جمعه ليتعرف به الطريق إذا ما نفذ والداه ما أراداه بهم . ولما ابتعد الأولاد عنهما وعاد الوالدان أدراجهما ، عندئذ أخبرهم عقلة الصباع بالواقع وأخذ إخوته وقفلوا راجعين متتبعين الزلط . وفى أثناء الطريق قابلهم غول فأخذهم لمسكنه كى يأكلهم ولكن عقلة الصباع لم يغفل اسقاط الزلط طول الطريق حتى مسكن الغول وبعد أن مكثوا أياماً عند الغول سمع عقلة الصباع فى ذات ليلة صوت الغول يقول لأولاده سنأكل هؤلاء الصغار غداً ، فجهزوا السكاكين وسنوها ونفذ أولاد الغول ما سمعوه من أبيهم . عندئذ نبه عقلة الصباع إخوته وأفهمهم الواقع واتفقوا على الهرب بعد نوم الغول وأولاده فنفذوا ذلك فعلا متتبعين فى سيرهم الزلط الأبيض إلى أن وصلوا آمنين إلى منزل والديهم وأخبروهما بما حصل .

وشاهدت فى هذا التياترو فى يوم ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٦ رواية « النملة والصرصور » وهى مأخوذة من خرافات لا فونتين الشهيرة

وفى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٩ صحبت البرنسين عباس ومحمد على إلى هذا المسرح وشاهدنا رواية (بنت ضارب الطرمبيطه) وكانت مضحكة للغاية .

لوناسيون . شاهدت فيه فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨٥ رواية « نوتردام دى بارى » تأليف فيكتور هوجو . وهى مأساة حصلت وقائعها فى الكاتدرائية الكبرى بباريس «نوتردام» ، وهى أن رجلا عشق فتاة جميلة لدرجة الجنون وأراد أن يتزوج بها فلما لم يتمكن من نوال مطلبه دخل هذه الكاتدرائية وصعد حتى مكان ناقوسها والقى بنفسه من ذلك العلو الشاهق فدق عنقه ومات .

الادن . وهو فخم مشيد على الطراز الشرقى ، وبه ملعب متسع فى مواجهة الداخل اليه وعلى جوانبه المقاعد وخلفها الألواح. وهناك ممر متسع ترى فيه عادة بنات الهوى رائحات غاديات. وبعد الممر توجد صالات واسعة لتناول المشروبات. قصدته فى يوم ٤ ابريل سنة ١٨٨٦ لمشاهدة حفلة رقص محجبة كما شاهدت فيه فى نفس هذه الليلة أيضاً منظراً عمومياً « بانوراما » لموقعة سيدان الشهيرة التى وقعت بالقرب من باريس بين المانيا وفرنسا فى حرب السبعين وبعد أن وصلت إلى دهليز منحدر وجدت كأنى فى وسط المعركة وحوالى السماء والأراضى المزروعة والبيوت المخربة والجرحى من الجنود والطوابى المهدمة والمدافع وكأنها تطلق قذائفها بحيث خرجت وكانتى ممن شاهدوا هذه الموقعة .

وفى يوم ١٨ يونيه سنة ١٨٨٦ توجهت بصحبة البرنسين عباس ومحمد على إلى هذا المسرح وشاهدنا رواية « براهما » بمناظرها الهندية البديعة وبعد ذلك شاهدنا الحاوى الذى يقوم بالعاب مدهشة ، من ذلك انه أحضر امرأة وأجلسها على كرسى وغطاها بمنديل كبير ولما رفع المنديل لم نجد المرأة وبقى الكرسى ثم أتى بعد ذلك بفرخ ورق أبيض وعمله قرطاس وصار يفرغ منه ورداً الواناً حتى ملأ سلة وقد سر البرنسان من ذلك سروراً زائداً .

كلوني . ويقع فى حى الطلبة ويمثل فيه روايات تدخل السرور على النفوس وفى ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨٧ شاهدت به رواية (ثلاث نساء لزوج واحد) وكانت مضحكة للغاية والمناظر بديعة جداً .

وكذلك شاهدت رواية (مفاجأة الطلاق) وهى أيضا مضحكة للغاية

التوفوتيه . توجهت وصديق فرنسى اليه فى يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٧ وشاهدنا رواية « آدم وحواء » طبقاً لنص الأنجيل وخلاصتها أن حواء أغواها الشيطان وأكلت من شجرة التفاح المحرمة ثم أغوى آدم فأكل منها أيضاً فأخرجا من الجنة .

وفى اليوم الثامن عشر من ابريل سنة ١٨٨٩ ذهبت اليه ومعى ابراهيم بك وشاهدنا رواية (مملكة النساء) وخلاصتها أن اثنين من أغنياء باريس ركبا يختاً وفى أثناء رحلتهما أصاب البوصلة عطلا فرسى اليخت على أرض يجهلانها فسارا مدة حتى وصلا مدينة يسيطر فيها النساء ويتولى الحكم فيها ملكة لها جيش من النساء ؛ وناظرات وموظفات يقمن بالأعمال العامة ، بينما الرجال يقومون باعمال المنزل من طبخ وغسل وخياطة ، وكنا نشاهد على المسرح هؤلاء الرجال فى المنازل يؤدون هذه الأعمال والمرأة هى التى تغازل الرجل وتدعوه لتناول الطعام وتدفع له أجرة إذا ملكته حتى تخطفه وهكذا .

وبينما الشابان يتجولان فى المدينة وجدا ضجة وجموعاً محتشدة فى ميدان واسع قريب من سراى الملكة فلما سألا عن السبب علما أن الملكة ستمر بموكبها فوقفا يتفرجان ، وهنا رفع ستار المسرح فشاهدنا فرساناً من النساء الجميلات وبعد المرور أمامنا جاء موكب الملكة فى عظمة وأبهة ، واتفق انها لمحت أحد الشابين فتعلقت بحبه وكذا أحبت ناظرة الحربية زميله الآخر وبقيا مدة فى حيازتهما وأخيراً رأى الشاب الذى أحبته ناظرة الحربية مذلة الرجل فى هذا البلد وحقارة شأنه وأراد تغيير حالته ففر من عندها واختلط بالرجال فى المنازل وأخذ يضرم فيهم نار الحماسة والتمرد على هذا النظام الغريب حتى تمكن من إثارتهم ثم نشبت المعارك بين الجنسين وانجلت فى النهاية عن انتصار الرجال* وتزوجت الملكة بمحبوبها الشاب .

فولي دراماتيك . وتمثل به الروايات المضحكة، قصدته ومعى إبراهيم بك فى يوم ١٨ يونيه سنة ١٨٨٨ وكانت تمثل فيه رواية « شيطان الربيع » وخلاصتها أن رجلا كان متزوجا بشابة جميلة لطيفة وكان يصدق معها فى وعوده طول العام ما عدا فصل الربيع فيتغير سلوكه معها . وشكت الفتاة ذلك لأمها وتركت لها تدبير العلاج لهذا الداء الذى أعياها علاجه . وتوصلت أمها إلى حل جميل هو أن تعطى ابنتها مسحوقا مسهلا تدسه فى طعام زوجها حين يسوء سلوكه ، فاذا أعطى ميعادا لغير زوجته على أن يزورها فى فصل الربيع أقعده الاسهال عن الوفاء بوعده . وهكذا حفظته الزوجة لنفسها بهذه الحيلة الظريفة .

الاوبرا كوميك . تفرجت فيه فى يوم ٦ ينساير سنة ١٨٨٩ على رواية كارمن وهى من الروايات المشهورة والمعلومة للجميع وكان التمثيل والمناظر فى غاية الدقة والفخامة

الفـاريتية . فى يوم ٢٠ يونيه سنة ١٨٨٩ ذهبت ومعى احمد زكى بك لمشاهدة رواية « غادة الـكاميليا » وقامت باهم أدوارها سارة برنار الممثلة الذائعة الصيت ومع أنهـا كانت متقدمة فى السن إلا أنه كان فى صوتها ونشاطها يجرى دم الشبـاب وتتلخص هذه الرواية فى أن شاب من عائلة راقية طالب باحدى الجـامعات تبادل الحب وامرأة متزوجة وحاول والد الشاب نصحه ومنعه عنها فلم يتمكن وأخيرا أغرى المرأة على أن تعرض عن ابنه ونظراً لحبها لهذا الشاب أرادت الموت فأهملت معالجة نفسهـا من مرض السل فعاجلتها المنية وكانت مناظر الرواية فى غاية الابداع والاتقان

محال الدعارة بباريس . لا أقصد الـكلام عن هذه المحال بالتفصيل لأنها تشبه فى العادة ما هو موجود منهـا فى جميع البلدان ولـكنى اكتنى بالقول بأن أشهر محل للدعارة فى ذاك الزمن كا يسمى سراى فاطمة «شابانيه» الموجود بالقرب من دار الـكتب بشارع ريشيليو وهو كبير مزين بأحسن الأثاثات وجدران الغرف بالمرايا والفتيات فيه من أجمل الفرنسيات وتستعرض فى صالون كبير على الزائرين بدون لباس تقريباً لأن ما يوجد فوق أجسامهن لا يمنع الناظر من رؤية جميع أعضائهن وقد زرت هذا المحل مع بعض أصحابى من المصريين ولـكن لم أتصل باحداهن